Journal Of the Iraqia University (72-1) April (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

الرموز والمراسيم السلطانية في مقدشو في القرن ٣-٨هـ/ ٩-١٤م

م.د. وئام عاصم إسماعيل
كليّة التربية الأساسيّة جامعة ديالى

Royal Symbols and Decrees in Mogadishu in the 3rd-8th Century AH/9th-14th Century AD

Assistant Professor Weam Asim Ismail
College of Basic Education - University of Diyala
Salemweam3@gmail.com

المستخلص:

شهد ساحل شرق إفريقيا العديد من الهجرات العربيّة منذ القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الهجريّ؛ إذ تأسست مقدشو في سنة ٢٩٥هـ؛ بفضل الهجرات العربيّة، التي قدمت إليها من شبه الجزيرة العربيّة، واستطاعوا من تكوين مشيخة إسلامية، ثمَّ تطورت تلك المشيخة التي أصبحت سلطنة إسلامية كبيرة، ومقدشو عاصمتها في سنة ٤٩٥هـ؛ إذ جرى اختيار أوّل سلطان لها؛ بفضل السياسات الرشيدة التي اتبعها السلاطين في حكم الرعية في تلك البلاد؛ إذ أدى السلطان الأثر البارز في ازدهار السلطنة في القرن الثامن الهجريّ، الذي جمع بين الطابع العربيّ الإسلامي والتقاليد والأعراف الإفريقية. الكلمات المفتاحية: الرموز، المراسيم، السلطان، مقدشو، إفريقيا.

Abstract:

The East African coast has witnessed numerous Arab migrations since the third century AH/ninth century AH. Mogadishu was founded in 295 AH, thanks to Arab migrations from the Arabian Peninsula. They were able to establish an Islamic sheikhdom, which then developed into a large Islamic sultanate, with Mogadishu as its capital in 495 AH. Its first sultan was chosen, thanks to the wise policies followed by the sultans in governing the subjects in those lands. The sultan played a significant role in the prosperity of the sultanate in the eighth century AH, combining the Arab-Islamic character with African traditions and customs. Keywords: Symbols, Decrees, Sultan, Mogadishu, Africa.

المقدمة:

الحمدُ للهِ ربّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم المرسلين سيدنا مُحَمَّد (ﷺ) وعلى آله وصحبه أجمعين، أَمَّا بعد فأدت سلطنة مقدشو الإسلامية أثرًا بارزًا على ساحل شرق إفريقيا منذ القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلادي؛ إذ تأسست في سنة ٢٩٥هـ؛ بفضل الهجرات العربيّة التي قدمت إليها من شبه الجزيرة العربيّة.وقد أدى الشّيخ أو السلطان في مقدشو الأثر الأبرز في ازدهار تلك السلطنة؛بفضل السياسات الرشيدة التي اتبعها السلاطين في حكم الرعية في تلك البلاد.ولعل رواية الرحالة ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) من أَبرز ما ورد في المصادر التاريخية عن سلطنة مقدشو الإسلامية في القرن الثامن الهجريّ، الذي قدّمَ وصفًا دقيقًا وشاهدًا عن عدل سلطان تلك البلاد، وقربه من الرعية، وأَنَّهُ كان حاكمًا، نقيًا، ورعًا، ويخدم العلماء وطلبة العلم، ويجتمع بالنّاس في مجالسه، ويستمع لشكواهم التي كانت تقدّم إليه تكمن أهمية الدّراسة إلى تسليط الضوء على آلية تطور نظم الحكم في مقدشو من مشيخة زعماء القبائل سنة ٢٩٥هـ، إلى أَنْ أصبحت سلطنة إسلامية كبيرة وعاصمتها مقدشو في سنة ٤٩٥هـ؛ إذ جرى اختيار أوّل سلطان لها؛ بفضل السياسات الرشيدة للسلطان التي أصبحت مقدشو في القرن الثامن الهجريّ من أرقى الحواضر الإسلامية؛ نتيجة التمازج بين العرب والقبائل المحلية والوافدين، التي جمعت في جوهرها بين الشكل العربيّ والطابع الإفريقي.مَّا المنهج الذي جرى اعتماده في هذهِ الدّراسة فهو المنهج الوصفي التاريخي المعتمد على النصوص التاريخية الواردة في كتب التاريخ.اقتضت طبيعة الدّراسة تقسيمه على عِدَّة

فقرات رئيسة،منهاالمقدمة، والمفهوم الإسلامي للرموز والمراسيم والسلطنة، وشروط اختيار السلطان في مقدشو، ونظم الحكم فيها، ومجلس السلطان، فضلًا عن موكبه، وألقابه السلطان، وملابسه، ومهامه، وواجباته، وخُتِمَ البحث بخاتمة تطرقت فيها أبرز النتائج، وقائمة المصادر والمراجع.

أوّلًا: المفهوم الإسلامي للرموز والمراسيم والسلطنة:

١. الرموز لغة واصطلاحًا:

الرمز لغة: الرمز: يضم ويحرّك، وهو الإشارة أو الإيماء بالشفتين، أو العينين، أو الحاجبين، أو الفم، أو اليد، أو اللسان (الفيروزآبادي، ١٤٢٦هـ، ص٥١٢)، وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا**﴾ (آل عمران، الآية ٤١)؛ "أي الإشارة بيد، أو برأس، أو غيرهما، وأصله: التحرك؛ قال: ارتمز: إذا تحرك، ومنهُ قيل للبحر: الراموز" (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ص٤٢٩).

الرمز اصطلاحًا قال النووي (ت٦٧٦هـ): "لا ينبغي أَنْ يصطلح مع نفسه برمز لا يعرفه النَّاس، وإِنْ فعلَ فليبين في أوّل الكتاب أو آخره مراده" (النووي، ١٤٠٥هـ، ص٦٨).

٢. المراسيم لغةً واصطلاحًا:

المراسيم لغة:رسم يرسم، رسامه، والجمع: مراسيم، وهو جمع الاسم المفعول مرسوم للفعل رسم، والمرسوم: كتاب مطبوع، والجمع: مراسيم، وترسم الشيء: تبصره (الزبيدي، د.ت، ص٢٥٩)، وتأتي أيضًا بمعانٍ شتى، منها: خشبة فيها كتاب منقوش يختم بها الطعام (ابن منظور، ٢٠٠٣، ص٢٤١)، وقد رسم الطعام من باب نصر؛ أي ختمه، وكذا رسم لَهُ كذا فارتسمه؛ أي: امتثله، وارتسم الرجل كبر، ودعا، ورتسمت الدار: تأملت رسمها (الرازي، ١٩٩٩، ص١٥٧).

المراسيم اصطلاحًا:وهو أمر السلطان أو الأمير، ولاسِيَّمَا أمر مكتوب ومرسوم بالتتبع، وكذلك إنْ أذن، أو أجازه في الذهاب، والمراسيم هي: الأوامر الشرعية، وكذلك جاءت مراسيم الإسلام؛ أي تعاليمه، وأنَّها تأتي بمعنى: أشرف العادات (دوزي، ١٩٨١، ص٤٠)وقال القلقشندي (ت٨٢١هـ): "المراسيم هو: جمع مرسوم، أَخذ من قولهم: رسمت لَهُ كذا فارتسمه إذا امتثله، أو من قولهم: رسم على كذا إذن وتحميل أَنْ يكون منهما جميعًا" (القلقشندي، ١٩٨٧، ص١٠٧).

٣. السلطنة لغةً واصطلاحًا:

السلطان لغةهو الحجّة والبرهان؛ ولذلك قيل للأمراء سلاطين؛ لأَنَّهم الذين تقام بهم الحجّة والحقوق، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ**﴾ (سبأ، الآية ٢١)؛ أي: ما كان لَهُ عليهم من حجّة (ابن منظور، ٢٠٠٣، ص٦٤٥).

السلطان اصطلاحًا: اسم يعرف به ملك الملوك (القلقشندي، ١٩٨٧، ص٤٢٠)، ويكون عسكره من عشرة آلاف فارس، وهو المهيمن على الأمراء ومماليكهم؛ بوصفه زعيمهم، ورأس دولتهم، وصاحب السلطة العليا في البلاد (السيوطيّ، د.ت، ص٩٣).

ثانيًا: شروط اختيار السلطان في مقدشو:على الرغم من أَنَّ السلطان في مقدشو كان شيخًا وزعيمًا، تمكن من الوصول إلى سدة السلطنة، إِلَّا أَنَّ هناك بعض الشروط التي لا بُدّ من أَنْ تتوافر فيه؛ لكي ينال منصب السلطنة ومن هذهِ الشروط ما يأتي:

١. أَنْ تتوافر في المرشح الصفات الخلقية من تهذيب النفس، وتحليه بالأدب، ورجاحة العقل، والعدالة، ومثال ذلك ما حدث في سنة ٤٩٥هـ عندما أُختير أبو بكر فخر الدِّين سلطانًا على مقدشو؛ لمكانته بين القبائل، ولاسِيَّمَا أَنَّهُ عُرِف عنهُ الصلاح والعدل، وكان كريمًا، فاضلًا، عاقلًا، حليمًا، قليل المساوئ (عبدالحليم، ١٩٩٩، ص٢٣٦-٢٣٧).

٢. أَنْ يكون أديبًا، وشاعرًا، وفصيحًا في اللّغة العربيّة، وحاسبًا ماهرًا، وفقيهًا، ومثال ذلك: ما ذكرهُ ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) عن انتشار اللّغة العربيّة بين الصوماليين الأصليين الذين ليسوا من أصل عربي، والدليل ما قاله عن السلطان أبي بكر الشّيخ عمر الصومالي الأصل قائلًا: "كلامه بالمقدشي، ويعرف باللسان العربيّ" (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٥٤-٢٥٥)، وعند لقائه بالسلطان عقب صلاة الجمعة، الذي رحب به بشدة، وأحسن الكلام إليه، ثمَّ قال لَهُ بلغة العرب: "قدمت خير مقدم، وشرفت بلادنا وآنستنا" (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٥٥).

٣. أَنْ يكون عالمًا بأحكام الدِّين وتعاليمه؛ إذ سارَ سلاطين منطقة القرن الإفريقي، ولاسِيَّمَا مقدشو على هذا الطريق القويم من التدين والصلاح؛ وهذا ما أكده المقريزي (ت٨٤٥هـ)؛ إذ قال: "إِنْ أسره عمر عرفوا بالخير واشتهروا بالصلاح" (المقريزي، ١٨٩٥م، ص٩)؛ فكان أَغلب حُكام تلك المنطقة وسلاطينها يترسمون هدى الإسلام، ويسترشدون بتعاليمه (المقريزي، ١٨٩٥م، ص٩)، ومنهم أبو بكر سلطان مقدشو، الذي كان شامخًا في ذلك المجال، ومن الأدلة الدامغة والقاطعة على ذلك أَنَّهُ كان يلقب بـ(الشّيخ)، وكان محافظًا على أداء الصّلاة في أوقاتها؛ حتّى أَنَّهُ صلّى معه الرحالة ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) صلاة الجمعة في أثناء زيارته مقدشو سنة ٧٣١هـ، وظل السلطان في المشور حتّى إذن صلاة العصر فأداها،

ثمَّ ذهب إلى قبر والده المدفون بصحن المسجد؛ فقرأ لَهُ ودعا لَهُ بالرحمة والمغفرة (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٦٩)، وكان محافظًا على تطبيق فريضة الزكاة بدرجة كبيرة؛ حتّى أَنَّهُ غضب من زوج ابنته؛ لأَنَّهُ امتنع عن دفع الزكاة، وما فعل ذلك إلَّا من أَجل غيرته على أركان دينه الإسلامي (المقريزي، ١٨٩٥، ص١٢).

ثالثًا: نظم الحكم في مقدشو: في البداية لم يكن أهل مقدشو بتنظيمهم القبلي يعرفون أي شكل من أشكال السلطنة المركزية، والتي يمكن أَنْ تفرض سيطرتها عليهم عن طريق ملك أو سلطان (ياقوت الحموي، ١٩٥٧، ص١٧٣)، ومنذ نهاية القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلادي عاش أهل مقدشو تحت مظلة نظام الحكم الذي تسيطر عليه القبائل؛ فكانت السلطة في ذلك النظام موزعة على عددٍ من شيوخ القبائل أو زعمائها الذين يكونون ائتلافًا، ويحكم كُلّ واحد منهم بوساطة ذلك الائتلاف من قبيلته (عبدالحليم، ١٩٩٩، ص٢٤٨)ومن المرجح يجري اختيار هؤلاء الزعماء من ذوي الحكمة والخبرة، الذين اشتهروا برجاحة العقل، وعرف هذا الائتلاف بعدّة مسميات؛ ولكن مدلولها واحد، منها: مجلس الشيوخ،أو مجلس الحكماء المسنين، أو مجلس الأجاويد، أو مجلس المحنكين (عبدالشافي، ٢٠٠٨، ص٩٢)، وفي ظل هذا النظام سارت حياة النَّاس في مقدشو بسهولة ويُسر لمُدّة طويلة، أدى فيها ذلك النظام بتصريف أمور النَّاس، ورعايته مصالحهم، وفض النزاعات والمصادمات التي تحدث بين أفراد القبائل؛ فكان لكُلّ قبيلة ممثل لها في مجلس الحكم، ويكون هو القائم على أمرها، ورعاية مصالحها، وقضاء حوائجها، إلى جانب استقبال الضيوف، واكرام الغرباء (عبدالشافي، ٢٠٠٨، ص٩٢)وبعد هجرة جماعة الإخوة السبعة في أواخر القرن الثالث الهجريّ/ التاسع الميلادي إلى ساحل بنادر، واستقرار الأمر هناك؛ وجدوا أَنَّهُ لا بُدّ من إحداث التغيير، وإدخال بعض التعديلات على نظام الحكم؛ بما يكفل لهم الأمن والاستقرار؛ فتكوّن مجلس من زعماء العرب، وكُلّما ازدادت هجرة العرب إلى ساحل بنادر ازداد أعضاء المجلس؛ حتّى وصل إلى اثني عشر زعيمًا وشيخًا، يرأسهم واحد منهم، لا يحمل لقب ملك أو سلطان، واستمر ذلك النظام سائدًا نحو مائتي سنة (عبدالشافي، ٢٠٠٨، ص٩٣)، وسمي ذلك المجلس باسم (مجلس المدينة)، الذي كان من أفضل نظم الحكم التي طبقها العرب المهاجرون في ساحل شرق إفريقيا؛ إذ تمتع ذلك المجلس بالسلطات كُلّها؛ فله الحق في النظر في القضايا الجنائية، والمدنية، وفض المنازعات (أمين، ١٩٧٧، ص٧٣).وفي منتصف القرن الخامس الهجريّ/ الحادي عشر الميلادي، تولى سلطنة مقدشو زوزن (لم يستدل لَهُ على ترجمة)، وكان حاكمًا جائرًا وجبارًا على رعيته، ولم يصلح البلاد، وقد عاشت مقدشو في عهدهِ موجبة من الفوضى، والاضطرابات، والقحط، حتّى زالت سيطرته (العيدروس، ١٩٥٤، ص٤٣)أَمَّا في القرن السابع الهجريّ/ الثالث الهجريّ، فقد ضعفت سلطنة مقدشو، وأصبحت عبارة عن زعماء ومشايخ؛ إذ وصفهم ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ): قائلًا: "طوائف لا سلطان لهم لكُلّ طائفة شيخ يأتمرون لَهُ" (ياقوت الحموي، ١٩٥٧، ص٣٤٣)كذلك زار ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) سلطنة مقدشو في القرن الثامن الهجريّ/ الرابع عشر الميلادي في أثناء حكم أبي بكر بن الشّيخ عُمر بن المظفر (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص١٥)، ووجدها قد بلغت درجة عظيمة من الحضارة والرخاء، وأَنَّها حققت قدرًا كبيرًا من التقدّم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وقال في وصف مقدشو: "هي مدينة في الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة، ينحرون منها المئين في كُلّ يوم، ولهم أغنام كثيرة، وأهلها تُجار أقوياء" (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص١٦)كذلك أشار إلى الأثر العظيم لتلك السلطنة؛ إذ شادَ بروعة نظامها في الحكم والإدارة، وكيف أَنَّها كانت تترسم هدى الإسلام وشريعته في أمور الدِّين والدنيا؛ فكان يعاون سلطانها في الحكم القاضي، وكاتب السرّ، والأمراء، والوزراء، وهم من أهل الشورى، والفقهاء من أهل الحلّ والعقد (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص١٢٠)، واقتصر نظام الحكم في سلطنة مقدشو عن طريق مبدأ الوراثة في أسرة زعيم القبيلة أو شيخها، الذي كان يرأس جماعة المهاجرين؛ إذ أصبحت مقدشو لها نظم سياسية، ورسوم إدارية، وحققت قدرا كبيرًا من الثروة والجاه (النقيرة، ١٩٨٢، ص١٨٣).

رابعًا: مجلس السلطان في مقدشو:في عام ٧٣١هـ زارَ ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) مقدشو وقابل سلطانها أبا بكر بن الشّيخ عُمر، الذي رحب به بشدّة، وأحسن الكلام إليه، ثمَّ قال لَهُ بلغة العرب: "قدمت خير مقدم، وشرفت بلادنا، وأنستنا" (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٢٥)، ثمَّ أخذ ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) في نعت مجلس السلطان، وأفاض في وصفه، وتحدث عن الأمراء وكبار رجال البلاط السلطاني، وكان ذلك في يوم الجمعة؛ إذ كان لسكان مقدشو عادات ومراسيم يعملونها في ذلك اليوم (علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٦)، من لبس الثياب المطرزة، والمصنوعة في مصر، وضرب الطبول والأبواق بين يدي السلطان (علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٦)ومن عادة سكان أهل مقدشو حاضرة الإمارة العربيّة الإسلامية وأكبر مدنها، أَنْ يكون لهم مجلس ومراسيم خاصة بمجلس السلطان في بلادهم، وتحديد يوم السبت من كُلّ أسبوع؛ للنظر في مظالم النَّاس، بعد أَنْ يدعهم إلى طعامه؛ إذ قال ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) عن مجلس السلطان"وإذا كان يوم السبت يأتي النَّاس إلى باب الشّيخ (أي السلطان فيقعدون في سقائف خارج الدار، ويدخل القاضي، والفقهاء، والشرفاء، والمشايخ، والحجاج إلى المشور الثاني، فيقعدون على دكاكين من الخشب مُعدّة لهم لذلك (علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٨)، ويكون القاضي على دكانه وحده، وكلّ صنف على دكانه تخصهم لا يشاركهم فيها سواهم، ثمَّ يجلس السلطان بمجلسه، ويبعث إلى

القاضي فيجلس على يساره، ثمَّ يدخل الفقهاء فيقعد كبراؤهم بين يدي السلطان، ويسلمون ثمَّ ينصرفون، ثمَّ يدخل الشرفاء فيقعد كبراؤهم بين يديه ويسلم وينصرفون، أَمَّا إذا كانوا ضيوفًا جلسوا عن يمينه، ثمَّ يدخل الشّيخ إلى داره، ويقعد القاضي والوزراء وكتاب السر وأربعة من كبار الأمراء للفصل بين النَّاس وأهل الشكايات؛ فمن كان متعلّقا بالأحكام الشرعية حكم فيه القاضي، وما دون ذلك حكم فيه أهل الشورى وهم الوزراء والأمراء، وما كان مفتقرًا إلى مشورة السلطان كتبوا إليه؛ فيخرج لهم الجواب في حينه على ظهر البطاقة، وتلك من عاداتهم دائمًا؛ فكان من اختصاص ذلك المجلس هو حفظ الأمن، وتطبيق العدالة، والفصل في الأحكام الشرعية، أو تيسير أمور النَّاس في السلطنة (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص١٢٠؛ هويدي، ٢٠١٥، ص٦٦).

خامسًا: موكب السلطان في مقدشو لقد حرص سلاطين مقدشو على الظهور أمام النَّاس بموكب مهيب، وبمعيتهم كبار رجال السلطنة، وقد أعطى ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) وصفًا دقيقًا؛ لذلك عن طريق مشاهداته عن مظاهر الفخامة والأبهة السلطانية التي شاهدها في موكب السلطان، التي جمعت ما بين الشكل الإسلامي والطابع الإفريقي؛ إذ قال: "ولمَّا فرغ الشّيخ (السلطان) من الصّلاة في أيام الجمع والأعياد، توجه ماشيًا إلى منزلِهِ، وهو بالقرب من المسجد، ومشى النَّاس كُلّهم حفاة، ورفعت فوق رأسه أربع قباب من الحرير الملون، وعلى أعلى كُلّ قبة صورة طائر من الذهب، وكان لباسهُ في هذهِ الأيام فرجية قدسي أخضر، وتحتها من ثياب مصر، وطروحاتها الحسان، وهو متقلد بفوطة حرير، وهو معتم بعمامة كبيرة، وضربت بين يدي السلطان الطبول، والأبواق، والأنفار، وكان يتقدّم الموكب كوكبة من أمراء الأجناد أمامه وخلفه، والقاضي والفقهاء والشرفاء معه" (علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٦)ويدخل مشورة على تلك الهيئة بموكب عظيم؛ فيقعد الوزراء والأمراء ووجوه الأجناد في سقيفة هناك، ثمَّ يفرش لقاضي القضاة في مقدشو بساط لا يجلس معهُ غيره عليه، والفقهاء والشرفاء معهُ، حتّى دخول صلاة العصر (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٣٣)ثمَّ أضاف ابن بطوطة أَنَّهم لما صلوا العصر مع السلطان أتى جميع الجند ثمَّ وقفوا صفوفًا على قدر مراتبهم، ثمَّ ضربت الأطبال والأبواق والصرنايات، وعند ضربها لا يتحرّك أحد ولا يتزحزح من مقامه، ومن كان ماشيًا عليه أَنْ يتوقف؛ فلم يتحرّك إلى الخلف ولا إلى الأمام؛ فإذا أفرغ من ضرب الطبول انصرفوا، وتلك عادة لهم أيام الجمع والأعياد" (عبدالشافي، ٢٠٠٨، ص١١٤).

سادسًا: ألقاب السلطان في مقدشو:اتخذ سلاطين مقدشو ألقابًا خلا فيه على غرار حُكام المسلمين في المشرق والمغرب ممن سبقهم، وهذا ما أوردهُ ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) ما يفيد بأَنَّ أهل مقدشو وقت زيارته لها لم يكونوا يطلقون لقب السلطان على حكامهم؛ إذ قال عن أهل مقدشو: "وعادتهم أَنْ يقولوا للسلطان: الشّيخ" (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٥٣). وقد لفت نظر ابن بطوطة إلى ذلك الأمر قاضي مقدشو، ويدعى ابن البرهان، والذي وُصِفَ بأَنَّهُ من أصول مصرية، وهو ما يشير إلى وجود العلماء والفقهاء المصريين في ساحل الزنج (شرق إفريقيا)؛ فحينها قابله وقال لَهُ: "بسم الله نتوجه للسَّلام على الشّيخ"؛ فقال لَهُ ابن بطوطة: "ومن الشّيخ؟ فقال لَهُ القاضي: السلطان". وكان من عادة أهل مقدشو أَنَّهم كانوا يطلقون على سلطانهم لقب: (الشّيخ)؛ توقيرًا لَهُ وورعه (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٥٤)، ونضف إلى ذلك بأَنَّ النقود كانت تُعدُّ شارة بارزة من شارات السيادة السلطانية؛ فالكتابة على تلك النقود هي السبيل لدينا للحصول على معلومات عن الألقاب السياسية لسلاطين مقدشو، ومن تلك الألقاب التي عُرِفَ بها حُكام الساحل وسلاطينه في نقودهم ونقوشهم، فمثلًا عبارة: (السلطان – عمر – الملك المظفر)، وعبارة: (المعتمد بالله – العزيز – الأكبر)، ونلحظ وجود لقب المظفر كصفة للسلطان عُمر في تلك العملة المعدنية لوجود لقب المظفر، وهو أَنْ يكون السلطان صاحب تلك العملة هو أوّل سلطان حكم مقدشو من أسرة المظفر الحارثية من جماعة الإخوة السبعة (عبدالشافي، ٢٠٠٨، ص٢٢١)وبعد قراءتنا للعملات المعدنية في مقدشو، نرى أَنَّها احتوت على عِدَّة ألقاب مليئة بالمدح والثناء، مثل: (السلطان محمد – عزه نصره والمجاهد فاق ذكره) (عبدالشافي، ٢٠٠٨، ص٢١٩).

سابعًا: ملابس السلطان في مقدشو:مع بداية اتصال المجتمع المقدشي بالحضارة الإسلامية، شهدت الملابس تطورًا ملموسًا، والتي يمكن تلمسها في بلاد الصومال؛ إذ كان لباسهم عبارة عن عمائم بحنك، مثل العرب، ويتلثمون بلثام أبيض، وإِنَّ قماشهم بياض من ثياب القطن (أمين، ١٩٧٧، ص٧٦)أَمَّا ملابس الحُكام والسلاطين فكانت عبارة عن ثوب مخطط باللونين الأخضر والأبيض، وسروال فضفاض ذي إطار أرقط ومطرز بحرير أخضر عند مقدمة الساقين، وفوقهما عباءة حمراء مطرزة، في حين تلف حول طاقيته الحمراء عمامة غاية الأناقة بتقاطعها اللونان الأحمر والأبيض، وسيفه مدلي فوق كتفه الأيمن بمشابك سميكة صنعت من الحرير الأحمر، كزينة، وتثبتت بعددٍ هائلٍ من الشراريب، ويتمطى جوادًا ممتازًا، كذلك أسرف في تزين رأسه وعنقه بشراريب وأجراس كثيرة (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص١٩٩) ومثال ذلك ما عرف عن الشّيخ أبو بكر بن الشّيخ عُمر سلطان مقدشو في العناية بملبسه؛ فكان جميل الصورة، متأنقًا، رفيع الثياب، ملوكي البزة، وتلك إشارة واضحة إلى أَنَّهُ كان مولعًا بالأبهة وعظمة الملك؛ إذ يوصف ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) الزي أو اللباس الذي كان يرتديه في أثناء زيارته لَهُ؛ فكان لباسه في ذلك اليوم فرجية

قدسي أخضر ،وتحتها من ثياب مصر، وطروحاتها (أي ما يطرح على الأكتاف) الحسان، وهو متقلد بفوطة حرير، وهو متعمم بعمامة كبيرة، وتلك دلالة على أَنَّ أهل مقدشو كانوا يقبلون على اقتناء الملابس مصرية الصنع واقتنائها (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٥٥؛ علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٦).

ثامنًا: مهام السلطان وواجباته:

تعددت مهام السلطان وواجباته في مقدشو، ومن تلك المهام ما يأتي:

١. **مراسم استقبال الوفود:**كانت مراسم استقبال الوفود والتُجار تجري على وفق قواعد معينة، يمكن أَنْ نستنتجها عن طريق زيارات بعض المبعوثين لمقدشو؛ فمنذ وصول التُجار إلى المركب الذي كان فيه ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) ورفاقه في السفر، قال رفقته: إِنَّهُ ليس تاجرًا؛ بل قالوا: إِنَّهُ فقيه وعالم؛ ولذلك قالوا: إِنَّهُ بذلك يكون نزيل قاضي مقدشو، ويدعى ابن البرهان المصري، والذي وُصِفَ بأَنَّهُ من أصول مصرية؛ وعلى إثر ذلك ذهب ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) إلى بيت القاضي؛ فيقول: "فنزلت أنا وأصحابي وسلمت على القاضي وأصحابه، وقال لي: بسم الله نتوجه للسَّلام على الشَّيخ؛ فقلت: من الشَّيخ؟ فقال: السلطان" (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٣١)، وكان من عادة أهل البلاد أيضًا: إذا جاء في مراكب التجار أحد العلماء أو الشرفاء أو الصالحين لتلك البلاد؛ فإِنَّهم كانوا يأتون به لمقابلة سلطان مقدشو، حتّى يرحب به ويكرم وفادته، وهو ما يشير بصورة واضحة إلى تقدير سلطان مقدشو للعلماء والفقهاء، وحرصه على إظهار الاحترام لهم (علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٤)وعندما وصل ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) إلى بيت قاضي مقدشو قال: "لمَّا وصلت مع القاضي المذكور، وهو يعرف بابن البرهان المصري الأصل إلى دار السلطان؛ خرج بعض الفتيان فسلم على القاضي فقال لَهُ: بلغ الأمانة وعرف مولانا الشّيخ أَنَّ هذا الرجل قد وصل من الحجاز، فبلغ، ثمَّ عاد" (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٣١)؛ علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٥)، وقد أحسن سلطان مقدشو إِلى ابن بطوطة وأكرم وفادته، ثمَّ أمر بأَنْ ينزل في ما يعرف بـ(دار الطلبة)، وهي دار كانت مُعدّة لإقامة طلبة العلم، وهي مفروشة ومجهزة بما يحتاج إليه من وسائل الراحة، وتقع تلك الدار بالقرب من قصر السلطان، ثمَّ جاء الطعام لابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) ومن معه من قصر السلطان، وكان يرافقهُ واحد من وزراء السلطنة الموكل لهم في استقبال الضيوف (علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٥)كذلك أَخذ ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) يتحدث عن طعام أهل مقدشو وأطابقهم المشهورة، وما كانوا يتميزون به من الطعام، ثمَّ أضاف قائلًا في حب أهل مقدشو للطعام وإقبالهم عليه بصورة لافتة: "والواحد من أهل مقدشو من أهل مقدشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة منا عادة" (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٣٢)، ثمَّ قال: "وأتى بطبق فيه التنبول والفوفل فأعطاني عشر أوراق مع قليل من الفوفل، وأعطى للقاضي كذلك، وأعطى لأصحابي ولطلبة القاضي ما تبقى في الطبق، وجاء بقمقم من ماء الورد الدمشقي؛ فسكب عليّ وعلى القاضي" (هويدي، ٢٠١٥، ص٦٧)وظل الطعام يأتي إِلى ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) من بيت السلطان كُلّ يوم ثلاث مرات، وتلك عادة أهل مقدشو، التي تدلّ على جودهم وحُسن أخلاقهم (علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٥) وفي اليوم الرابع من إقامة ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) في مقدشو من سنة ٧٣١هـ جاء قاضي المدينة وأحد وزراء السلطان، وحملوا لَهُ هدية من السلطان (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٣٢)؛ إذ قال ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ): "فلمَّا كان اليوم الرابع وهو يوم الجمعة، جاءني القاضي والطلبة وأحد وزراء الشيخ (السلطان)، وأتوني بكسوة، وكسوتهم فوطة خز يشدها الإنسان في وسطه، وعرض السراويل فإِنَّهم لا يعرفوننا، ودراعة من المقطع المصري معلمة، وفرجية من القدسي مبطنة، وعمامة مصرية معلمة، وأتوا لأصحابي بكسى تناسبهم..." (ابن بطوطة، ١٩٩٢، ص٢٣٢؛ علي، ٢٠٢٥، ص٤٥٦)وفي نهاية الزيارة، قدم ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) وصفًا دقيقًا عن طبائع أهل مقدشو من حُسن استقبالهم للضيوف، وإكرامهم لهم، وتأثرهم بالتقاليد الإسلامية (النجار، ١٩٧٣، ص٦٥).

الخاتمة:

بعد هذهِ الدّراسة المستفيضة للرموز والمراسيم السلطانية في مقدشو في القرن ٣-٨هـ/ ٩-١٤م؛ توصلت إلى عِدَّة نتائج، أبرزها:

١. بيّنت الدّراسة أَنَّ ما أوردهُ ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) من معلومات ووصف دقيق عن مقدشو، الذي كان شاهدًا كبيرًا على مدى التشابه في أنظمة الحكم وانتقاله بالوراثة بين أفراد البيت الحاكم.

٢. إعلان قيام السلطنة الوراثية في مقدشو على يد بني الحارث سنة ٤٩٥هـ.

٣. أصبحت للسلطنة في مقدشو نمط وأساليب ثابتة في الحكم والإدارة.

٤. كان السلطان في مقدشو محترمًا ومهابًا، وله مراسيمه السلطانية الخاصة، والتي تعكس مدى ما كان يتمتع به سلطان مقدشو من نفوذ وهيبة ومحبة في قلوب رعيته.

٥. أفاض ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) الحديث عن موكب السلطان في مقدشو، وما كان يحيط به من عظمة وأبهة، والذي جمع بين الشكل الإسلامي والطابع الإفريقي مع تطبيق الشريعة الإسلامية.

٦. تقوّت مدن ساحل شرق إفريقيا، ولاسِيَّمَا مقدشو، في استقبال الوفود؛ إذ خصصت وزيرًا لذلك، وشاهد ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) ذلك الترحيب بنفسه في أثناء زيارته لمقدشو سنة ٧٣١هـ من لدن السلطان، وقاضيه، وحاشيته.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر الأولية:

-الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، (١٤٢٦هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨.

-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عُمر (ت٥٣٨هـ)، (١٤٠٧هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٣.

-النووي، أبو زكريا محيي الدِّين بن شرف (ت٦٧٦هـ)، (١٤٠٥هـ): التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، تحقيق: محمد عثمان خشت، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١.

-ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدِّين (ت٧٧١هـ)، (٢٠٠٣م): لسان العرب، تحقيق: أحمد حيدر وعبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١.

-الرازي، زين الدِّين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت٦٦٦هـ)، (١٩٩٩م): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشّيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥.

-القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله الشهاب بن الجمال الشافعي (ت٨٢١هـ)، (١٩٨٧م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ترجمه وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدِّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١.

-السيوطيّ، جلال الدِّين عبدالرحمن (ت٩١١هـ)، (د.ت): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، د.ط.

-ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي (ت٧٧٩هـ)، (١٩٩٢م): تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د.ط.

-المقريزي، تقي الدِّين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ)، (١٨٩٥م): الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، دط.

-ياقوت الحموي، شهاب الدِّين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ)، (١٩٥٧م): معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، دط.

ثانيًا: المراجع الثانوية:

-دوزي، رينهارت بيتو آن (١٩٨١م): المعاجم العربيّة، ترجمة: محمد سليم النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، د.ط.

-عبدالحليم، رجب محمد (١٩٩٩م): العروبة والإسلام في إفريقيا الشرقية من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربيّة، القاهرة، د.ط.

-أمين، محمد محمد (١٩٧٧م): تطور العلاقات العربيّة الإفريقية من العصور الوسطى، القاهرة، د.ط.

-العيدروس، عيدروس بن الشَّريف علي (١٩٥٤م): بغية الآمال في تاريخ الصومال، شركة مطبعة السَّلام، مصر، د.ط.

-النقيرة، محمد عبدالله (١٩٨٢م): الإسلام في شرقي افريقية ومناهضة الغرب لَهُ، دار المريخ، الرياض، د.ط.

-علي، إسماعيل حامد إسماعيل (٢٠٢٥م): تاريخ الإمارات العربيّة على ساحل شرق إفريقيا والمحيط الهندي في العصر الإسلامي، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، دمشق، ط١.

-النجار، الشّيخ عبدالرحمن (١٩٧٣م): الإسلام في الصومال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د.ط.

ثالثًا: الرسائل الجامعية:

-عبدالشافي، حمدي محمد إبراهيم (٢٠٠٨م): الحياة السياسية والاقتصادية في سلطنة مقدشو الإسلامية في الفترة من (٤٩٥-٩٠٥هـ/ ١١٠١-١٥٠٠م)، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

-هويدي، محمد فتحي عبدالعزيز (٢٠١٥م): الرحلة مصدرًا لدراسة المظاهر الحضارية في بلاد السودان ابن بطوطة أنموذجًا (٧٣١-٧٥٤هـ/ ١٣٣١-١٣٥٣م)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

Sources and References:
The Holy Qur'an.
First: Primary Sources:

- Al-Fayruzabadi, Muhammad ibn Ya'qub (d. 817 AH), (1426 AH): Al-Qamus Al-Muhit, edited by the Heritage Office at the Al-Risala Foundation, Beirut, 8th ed.

- Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad ibn Ali (d. 845 AH), (1895 AD): Familiarity with the News of the Kings of Islam in the Land of Abyssinia, Al-Ta'lif Press, 1st ed.

- Al-Nawawi, Abu Zakariya Muhyi al-Din ibn Sharaf (d. 676 AH), (1405 AH): At-Taqrib wa-Taysir li-Ma'rifat Sunan al-Basheer al-Nadheer fi Usul al-Hadith, edited by Muhammad Uthman Khusht, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 1st ed.

- Al-Qalqashandi, Ahmad ibn Ali ibn Ahmad ibn Abdullah al-Shihab ibn al-Jamal al-Shafi'i (d. 821 AH), (1987 CE): Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha, translated and commented on by Muhammad Husayn Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed.

- Al-Razi, Zayn al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir (d. 666 AH), (1999 CE): Mukhtar al-Sihah, edited by Yusuf al-Shaykh Muhammad, Al-Maktaba al-Asriya, Beirut, 5th ed.

- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman (d. 911 AH), (n.d.): Hasan al-Muhadhara fi Akhbar Misr wa al-Qahira, n.d.

- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud ibn Umar (d. 538 AH), (1407 AH): Al-Kashaf 'an Haqa'iq Ghawamidh al-Tanzil, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 3rd ed.

- Ibn Battuta, Abu Abdullah Muhammad ibn Ibrahim al-Lawati (d. 779 AH), (1992 CE): Tuhfat al-Anzar fi Ghara'ib al-Amsar wa 'Aja'ib al-Asfar, edited by Karam al-Bustani, Dar Sadir, Beirut, n.d.

- Ibn Manzur, Abu al-Fadl Muhammad ibn Makram ibn Ali Jamal al-Din (d. 771 AH), (2003 AD): Lisan al-Arab, edited by Ahmad Haidar and Abdul-Moneim Khalil Ibrahim, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed.

- Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah (d. 626 AH), (1957 AD): Mu'jam al-Buldan, Dar Sadir Printing and Publishing, Beirut, 1st ed.

Second: Secondary References:

- Abdul Halim, Rajab Muhammad (1999 AD): Arabism and Islam in East Africa from the Rise of Islam to the Arrival of the Portuguese, Dar al-Nahda al-Arabiyya, Cairo, 1st ed.

- Al-Eidrous, Aidrous bin Al-Sharif Ali (1954): The Pursuit of Hopes in the History of Somalia, Al-Salam Press Company, Egypt, first edition.

- Ali, Ismail Hamid Ismail (2025): History of the Arab Emirates on the East African Coast and the Indian Ocean in the Islamic Era, Nour Houran for Studies, Publishing, and Heritage, Damascus, 1st edition.

- Al-Najjar, Sheikh Abdulrahman (1973): Islam in Somalia, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, first edition.

- Al-Naqira, Muhammad Abdullah (1982): Islam in East Africa and the West's Opposition to It, Dar Al-Marikh, Riyadh, first edition.

- Amin, Muhammad Muhammad (1977 AD): The Development of Arab-African Relations since the Middle Ages, Cairo, 1st ed.

- Dozy, Reinhart Peto Ann (1981 AD): Arabic Dictionaries, translated by Muhammad Salim al-Naimi, Publications of the Ministry of Culture and Information, Baghdad, 1st ed.

Third: University Theses:

- Abdul Shafi, Hamdi Muhammad Ibrahim (2008): Political and Economic Life in the Islamic Sultanate of Mogadishu during the Period (495-905 AH / 1101-1500 AD), Master's Thesis, Institute of African Research and Studies, Cairo University.

- Howaidi, Muhammad Fathi Abd al-Aziz (2015 AD): The Journey as a Source for Studying the Civilizational Aspects in the Land of Sudan, Ibn Battuta as a Model (731-754 AH / 1331-1353 AD), Institute of African Research and Studies, Cairo University.